التلازم واضح بين الإسلام واللغة القرآنية

بقلم : ثلة من أساتذة كلية العلوم

(جامعة عين شمس)

توصلنا من حضرة عميد كلية العلوم بجامعة عين شمس بجملة اجوبة عن موضوع الاستفتاء لزمرة من اساتذة الكلية الافاضل ننشرها شاكرين .

1 — علاقة السببية بين الاسلام واللغة العربية

من المعلوم أن الاسلام عقيدة وشريعة بيانهما الاول فى القرآن الكريم العربي المبين ويتفرع عن ذلك انه يجب على المسلم ، بقدر استعداده العقلي والادبي وتهيؤ الفرص له ، ان يعرف القدر الضروري لكل مسلم من أركان وشروط صحة العبادات اطاعة الله تعالى ، وصحة المعاملات انصافا وتعاونا مع عباده . وبعض هذه العبادات مثل الصلاة ، التي هي عماد الدين ، يتعين فيها قراءة ما يتيسر من القرآن العربي مع التسبيح والتكبير والتشهد بالفاظ عربية بقدر الامكان . ولاشك أن المستنيرين من المسلمين لا يكتفون بهذا القدر الضروري بل تسمو بهم نفوسهم الى طلب علم اكثر زيادة فى التقرب الى الله تعالى وكسبا لمنزلة الصالحين من عباد الله دنيا ودينا وفوق هؤلاء واولئك درجات ارفع وأمكن ممن يطمعون فى مراكز الامامة والتدريس والقيادة والحكم بما يرضي الله ورسوله وعملا بقول الله تعالى لرسوله الاكرم ولامته المهدية الى سبل الرشاد « وقل رب زدني علما » فيدعوهم هذا الطمع المشروع لكل مسلم ، بصرف النظر عن جنسيته أو منزلته المادية بين قومه بل عن موقفه العدائي السابق ضد الاسلام والمسلمين الى الاستزادة من علوم الدين لكن بشرط ان يعد كل منهم نفسه اعدادا سليماوكافيا لما يرشح نفسه للعمل فيه باحراز القدر الكافي من الفقه الضروري لهذا العمل ، واساس ذلك **حظ وافر من القرآن** العربي الكريم . ولما كان طلب القرآن واجبا على كل مسلم ومسلمة مع تفاوت منازلهم وآمالهم كما سبق وهو الامر المتوقف على **اجادة اللغة العربية** — كل بقدر ما يلزمه وما تصبو اليه همته وما يدفعه اليه ايمانه — صار **طلب اللغة العربية واجبا لان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب اذ انه** ترتب عليه وجودا وعدما . وعليه فيخلص من هذا الشرح الموجز **ان الاسلام حينما انتشر كان مظهره قرآنا عربيا وشريعة مراجعها عربية** وهو الامر الذي لم يختلف فى موطن من مواطن الفتح الاسلامية فى **القرنين** الاول والثاني الهجريين (السابع والثامن الميلاديين) **وقد امتدت فيما بين حدود الصين شرقا وبلاد المغرب** واسبانيا غربا .

وينتج من هذا القول غير المحتاج الى مزيد شرح أن علاقة السببية بين الاسلام واللغة العربية كتابة وقراءة ومخاطبة وتاليفا فى علوم القرآن والعظة والحديث والادب والاجتماع قام به شموس هدى ورشاد **وان كانوا اعاجم اروما وموطنا** لكنهم نهلوا من مورد القرآن الكريم **فاستعربوا** وسعدوا واسعدوا والله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء من عباده ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا .

وعلى خلاف ذلك لما نزح الاسلام عن الاندلس، لم يبق من اللغة العربية الا ما حوته بطون دور الكتب أو تحلت به اطلال القصور والمساجد ، أو ما بقي فى اللغة الاسبانية من الفاظ عربية محرفة .

2 — ماذا لو لم تكن اللغة العربية هي لغة القرآن؟

هذه النقطة مجرد افتراض ، وجواب الافتراض بالعلبع افتراض مثله ؟

والحق والله تعالى أعلم أن لغة القرآن لم تكن هي العربية الا لزوما وتبعا لكون الرسالة أراد الله توجيهها المباشر — وان كانت للناس كافة — الى أمة الجزيرة العربية بلسان رسوله الصادق الامين محمد العربي القرشي عليه وعلى آله افضل الصلاة والتسليم

اما لماذا كانت الرسالة الخاتمة موجهة أولا الى هؤلاء العرب فذلك لان الجزيرة مع غلبة الشرك فى انحائها واقلية اهل الكتاب فيها — كان سكانها من بدو ومن حضر أقرب للفطرة والاسلام دين الفطرة ، أما الاقاليم العريقة فى الحضارة فقد كانت كلها واقعة اما تحت سيطرة الروم الذين عرفوا بالترفع عن الاجناس والطغيان عليهم من بدء تكوين دولتهم حتى انهم لم يعتنقوا المسيحية الا بعد ثلاثة قرون من ميلاد المسيح عليه السلام وبعد أن اشبعوا المسيحيين وغيرهم من الوان العذاب حرقا وتقتيلا ، ولم ينفعهم اعتناقهم المسيحية ، التي شعارها المحبة والسلام للجميع من داء الغلظة والطغيان فضلا عما ران فى عقليتهم من بقية الشرك الاغريقي القديم وتعدد الآلهة عندهم فالله للحرب واله للخمر واله للجمال واله للشعر الخ ، واما وقعت بقيتهم تحت سيطرة الفرس التي طغت حتى لكأنها قبست من النجوم التي عبدتها والنار التي قدستها صواعق تعذيب وتدمير وأسواط تحكم واستعباد من قديم الزمن حتى اضطروا أنبياء الله ورسله نوحا وابراهيم ولوطا ويونس واسماعيل واسحاق ويعقوب الى الهجرة من بلادهم سعيا وراء سلامتهم وسلامة رسالات الله الملقاة على عواتقهم صلوات الله عليهم أجمعين وسلامه لهذا كله اقتضت حكمة مولانا الكريم — وهو أعلم حيث يجعل رسالته أن تكون الرسالة الخاتمة — يبزغ كوكب هداها فى سماء الجزيرة العربية ولزم عن ذلك ان تكون **الرسالة باللغة العربية** وبهداية الرسول العربي عليه أفضل الصلاة والسلام .

وفى هذا يقول الله تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » البقرة 143 .

وأمة وسطا أي متوسطة فى المكان والصفات والمزايا بين الامم وما ذلك الا لان خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وامته يؤمنون بسائر الكتب المنزلة والرسل اذ يقول الله تعالى فى محكم كتابه الكريم : « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » (البقرة 185) بخلاف اهل الكتب السابقة اليهود والنصارى يقول كل منهما للاخر لستم على شيء من الهدى وحسن المآل وفى هذا يقول الله تعالى « قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب » (البقرة 113) . وما زادوا بعد رسالة خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام الا تفرقا اذ يقول سبحانه وتعالى « وما تفرق الذين أتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ، وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » (البينة 4) .

ويتضح من هذا كله انه **لو كان القرآن بغير لغة العرب ، لما استطاع الرسول العربي ان يؤديه** ولما استطاعت الامة العربية أن تتقبله وفيه يقول القرآن الكريم : « ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا مؤمنين » (النحل 103) .

3 — الوعي الاسلامي واللغة العربية

هذه ظاهرة مدركة بالعقل وملموسة بالحواس ، ولا ادل على ذلك من انصراف غالبية المسلمين فى هذا الزمان مع تمنعهم بلا ريب بدرجات متفاوتة من الايمان عن الانصات والتدبر فى مجالسهم للقرآن الكريم وما ذاك الا لعجز معظمهم عن فهم ما يتلى عليهم من آيات وجود الله وقدرته وسرد قصص السابقين بما حوت من دروس وعبر وتعداد الكثير من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى وتبيان أحكام العبادات والمعاملات التي هم فى شوق وحاجة ظاهرة اليها — بدليل الاقبال على المحاضرات والمواعظ المشتملة عليها ، أما من القرآن الكريم مباشرة — مع اسلوبه السهل المعجز البليغ الممتع قد انحطت قدرتهم على تفهمه ولو جملة لاول وهلة واصبحوا لا يعنون الا بهتافات الاستحسان لمشاهير القرآن ، أو بذكر الله والصلاة على رسوله الكريم كلما ادركوا شيئا تفتح له قلوبهم طربا أو وجلا . وما ذلك الا من طول ما أوجد المستعمرون بينهم وبين تعلم القرآن الكريم على وجوه كاملة صحيحة خشية أن يؤدي بهم مثل هذا التعلم بلا شك الى الجهاد فى

سبيل الله لتخليص أوطانهم واعلاء كلمة دينهم ونشر آدابهم وأحكامهم الكفيلة بسعادتهم دينا ودنيا .

أما وقد تحررت معظم البلاد الاسلامية فقد تفتحت أبواب العلم الى رياض من الصلاح والفلاح والحمد الله .

أما عن قوة اللغة العربية أو ضعفها تاثرا بالوعي الاسلامي فالجواب عليه متداخل مع الاجابة على السؤال الاول من الاستفتاء .

4 و 5 ــ ما هو مدى تاثير الفكر الديني فى اللهجات ؟

لما كانت الاجابة المفيدة عن هاتين النقطتين لا يمكن صدورها الا من علماء مختصين بمقارنة اللهجات واقتفاء أصولها واسبابها فنأسف لان تخصص هيئة التدريس فى كلية العلوم الحديثة لا يتيح لهم الفرص لخدمة هذا الغرض النبيل .

6 ــ المكانة التي يجب ان تحتلها العربية بالنسبة للغات الاجنبية

لاشك انه يجب ان يكون **للغة العربية السيادة والاولوية فى دراسة العلوم والآداب كلها** على السواء، مع التمهيد الضروري لتمكين المتفوقين والمتخصصين وحدهم من بعض الدراسات العليا باللغات الاجنبية المتنوعة ليكونوا وسطاء فى تبادل الافكار والعلوم والمخترعات مع دول العالم المختلفة اللغات أما الكافة فحسبهم من ذلك ما يساعدهم على التفاهم اذا اقتضى التعامل ذلك ومن حسن حظ المسلمين أن فريضة الحج تجمعهم من أرجاء المعمورة مع اختلاف السنتهم والوانهم فتعطيهم الفرصة ــ اذا حاولوها ــ لتبادل اللغات أيضا والله الموفق والهادي لاقوم سبيل والحمد لله رب العالمين .